المحاضرة الأولى: النقد الجديد

1_مقدمة:

تدل عبارة "النقد الجديد (New Criticism) "على تيار نقدي أنجلوأمريكي، ظهر خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكان بمثابة نقطة انعطاف بالنسبة للنقد العالمي برمته، وما لبث أن تطور المفهوم ليصبح مدرسة قائمة بذاتها، سميت بمدرسة (النقد الجديد). والنقد الجديد كمفهوم هو شكل من أشكال النقد والتقويم للنص الأدبي، يدل على التحليل المسهب والدراسة المعمقة للغة بغية اكتشاف المعنى، مع إقصاء واضح للمراجع الخارجية كالمؤلف والمجتمع وغيرهما.

وقد عرف المصطلح في الثقافة الفرنسية بـ (Nouvelle critique) خلال الستينيات من القرن الماضي، وقد تجسد من خلال السجالات النقدية الحادة التي كانت تدور بين أنصار النقد التقليدي وأنصار النقد الحداثي، هذه السجالات التي أشعل فتيلها كتاب رولان بارت " تاريخ أم أدب – حول راسين (Histoire ou littérature – sur Racine) " عام 1963، فتحولت السجالات إلى حرب ضروس بيت التيارين.

وتوالى إصدار الكتب ذات الطابع النقدي في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ النقد العالمي، فبعد مقولة موت مؤلف لرولان بارت، رد عليه ريمون بيكار (R.Picard) بشكل ساخر من خلال مؤلفه: "نقد جديد أم خدعة جديدة ؟ (Nouvelle critique ou nouvelle imposture) عام 1965 ، ليأتي إلى الساحة النقدية كتاب آخر يدافع عن التوجه الجديد، وينتصر لمقولات رولان بارت، وهو كتاب أصدره سارج دوبر فسكي (S.Doubrovsky) بعنوان: "لماذا النقد الجديد؟ (pourquoi la nouvelle critique?) ".

وقد أخذ مفهوم هذا المصطلح يتسع ويتشعب ليأخذ دلالات أخرى غير التي انطلق منها، فقد غدا مظلة لعديد من المناهج النسقية الجديدة كالبينوية والسيميائية وغيرهما. وقد لاحظ كثير من النقاد تشابها كبيرا بين النقد الجديد والشكلانية الروسية والبنيوية الفرنسية على المستوى المفاهيمي بشكل خاص.

2-الخلفية المعرفية للنقد الجديد:

تلتقي أسباب نشأة النقد الجديد مع كثير من المبادئ التي دعت إليها الشكلانية الروسية، هذه الأخيرة التي كان ينطوي تحت مظلتها كل نقد ذو طابع تطبيقي، كما كانت تركز على شكل العمل الأدبي وعلى أهمية الأسلوب مع استبعاد كل المرجعيات الخارجية التي لها علاقة بالحياة، كالمؤلف والمجتمع والتاريخ وغيرها. كما ترفض الشكلانية الروسية الثنائية التقليدية (الشكل / المضمون) وترى أنهما وجهان لعملة واحدة، فهي تنطلق من الشكل لفهم المضمون.

كما تعود جذور هذا الاتجاه الجديد إلى مقولات كانت وكولديرج، كمفهومي "المخيلة" و"الوحدة العضوية"، حيث يصر دعاته ورواده على "تفوق اللغة الأدبية على لغة العلم واللغة الحياتية المؤسساتية. فلغة الأدب تتسم جوهريا بالمجازية والإستعارة والغموض والتجسد والحيوية والحياة، بينما تتسم لغة العلم بكونها رموزا مجردة ميتة تقدم المعرفة تقديما مباشرا وبطريقة فجة لا حياة فيها، كما تتسم بالانعزال والعزلة"، أما لغة الأدب فهي لغة ثرية تتسم بالتفاعل والإيحاء، والأسلوب الجميل المؤثر الذي يقدم التجربة الشعورية بطريق غير مباشرة.

وقد استلهم هذا التيار الجديد أيضا أفكاره من المدرسة التصويرية (Imagism) الشكلية التي أسسها الشاعر الأمريكي إيزر باوند(Ezra Pound) في بدايات القرن الماضي، كما تعد الأفكار النقدية الحداثية للشاعر والناقد (ت. س. إليوت) بشأن نظرية

المعادل الموضوعي Objectifcorrelatif مرجعا أساسيا له، ومفاد هذه النظرية: "أن الأدب وبالخصوص الشعر ليس تعبيرا عن شخصية الشاعر، وعن أحوال المجتمع، وإنما هو خلق. وصحيح أن الأدب قد يعكس ملامح من شخصية مبدعه أو بيئته، ولكن وظيفة الفنان هي أن يحيل هذه العناصر كلها إلى شيء جديد وهو العمل الفني المستقل بوجوده عن لك ما اسهم في صنعه".

3_ أسباب الظهور:

أما عن أسباب الظهور، فقد ظهر النقد الجديد استجابة لضرورة إيجاد نظرية تتجاوز الطرح الايديولوجي الذي عمر زمنا طويلا ، والذي يعلي من قيمة العوامل الخارجية على حساب الأثر الأدبي في حد ذاته، تجسد ذلك في مختلف الاتجاهات الوجدانية الذاتية والوثائقية التاريخية التي غيبت النص وغمرته بما ليس منه، وأنطقته بما لا يريد.

4- خصائص النقد الجديد:

يقوم النقد الجديد على مجموعة من الأسس والخصائص المنهجية، يمكن إجمالها فيما يلي:

ا/ دراسة النص الأدبي بعد عزله عن محيطه السياقين وذلك بإلغاء كل من مقصدية المبدع ووجدانية المتلقي، حيث الانطلاق من النص للعودة إليه مرة أخرى. وهي ما عبرا عنها كل من ويليام ويمزات (William Kurtz Wimsatt) ومونرو بيدزلي (M. Beardsly)بمقولتي المغالطة القصدية (Intentional Fallacy) والمغالطة التأثيرية (Affective Fallacy)سنتي 1946 و1949 على التوالين، وهما مغالطتان يجب حماية النقد الموضوعي من خطرهما، كما يرى أصحاب النقد الجديد.

يشير مصطلح (المغالطة القصدية) إلى مغالطة القصد والنية، حيث يحكم على العمل الأدبي انطلاقا من النية أو الغاية التي يصرح بها مؤلف النص، أو وفقا لسيرته الشخصية وإيديولوجياته الخاصة، وتعد نظرية الكاثارسيس الارسطية أبرز مثال لهذه المغالطة. ويدعو النقد الجديد إلى تجاوز هذه المغالطة، إذ أن النص بمجرد دخوله عالم اللغة يتحرر من سلطة المؤلف وهيمنته على المعنى ، ويصبح القصد بهذا الشكل غير موجود وإن وجد فهو ملغى ولا يعتد به.

كما يشير مصطلح (المغالطة التأثيرية) إلى خطأ الحكم على العمل الأدبي انطلاقا من تأثيره العاطفي على القراء، لأن ذلك يعد خلطا كبيرا بين العمل الأدبي نفسه وبين ما يؤدي إليه من نتائج، وارتبطت هذا المغالطة بالمغالطة القصدية. وهي تقتضي الفصل بين النص نفسه وتأثيره على القارئ، لأن ذلك الخلط يعد وهما نقديا لا ينبغي للناقد الموضوعي أن يقع في شراكه، وإلا سينطبع عمله بالذاتية التي قام النقد الجديد على أنقاضها.

ب/ إقصاء المرجع الخارجي، بمعنى فحص النص الأدبي ومعاينته بعيدا عن بيئته الثقافية والاجتماعية والنفسية وغيرها من العوامل الخارجة عن بنية النص الداخلية. وكذا اتخاذ "القراءة المركزة (Close reading) "وسيلة لتحليل النصوص الأدبية، حيث تقتضي هذه القراءة تفحص المعجم اللغوي للنص، وتراكيبه البلاغية، ورموزه وإشاراته، وكل العناصر الجوهرية التي تسهم في إضاءة دلالاته وفك مغاليقه.

ج/ الاهتمام بالتكامل العضوي للنص الأدبي بصفة عامة والشعري بصفة خاصة، ودراسة القصيدة بوصفها وحدة عضوية متجانسة العناصر، ويبدو أن النقد الجديد قد استلهم فكرة العضوية من الشعر الرومانسي، الذي ينظر إلى النص الأدبي على أنه كائن حي متنام، يؤدي كل عضو فيه وظيفة خاصة به، ولا يمكن استبداله بعضو آخر. وتتمثل هذه الأعضاء في المكونات الداخلية الأساسية في النص. وهي بنية كلية متجانسة منفصلة ومستقلة عن الظروف والمؤثرات

المحيطة، كما يستحيل فصل شكلها عن مضمونها، أي أنها لا تمتلك معنى منفصلا بل هي تعبير عن مجموع قيمها ومعانيها المنظمة.

د/ التركيز على التحليل العلمي للنص، حيث أصبح الحكم النقدي جزء من تلك العملية التحليلية، التي تنبذ المبالغة في إطلاق الأحكام المعيارية غير المعللة.

5_ خاتمة:

تشير الدراسات إلى فتور النقد الجديد في مطلع الخمسينيات، وذلك نظرا لفشله في القيام بمهمة التقييم النقدي للأعمال الأدبية الكبيرة كالروايات مثلا، كما عيب عليه إقصاؤه الكلي للمرجع الخارجي، وتغييبه لدوري كل من المؤلف والقارئ وبالتالي تغييب حيثيات ومعطيات أوسع، مما يؤدي بالتحليل اللغوي إلى القصور.

كما يؤخذ عليه أنه "نخبوي النزعة، دكتاتوري السياق، ويقال إنه نقد ميكانيكي يجد ما يطلبه في كل نص يختاره، فيختار دائما ما يتناسب مع أدواته ومقولاته كتفضيل الشعراء الميتافيزقيين على غيرهم واقتصاره على القصيدة الغنائية وفشله في التعامل مع النصوص الطويلة كالرواية والمسرحية ، ولا يشجع الدارس على البحث عن غير ما يجتره ممارسو هذا النقد" .

لكن مهما قيل عن موته ونهايته وعدم جدواه، فإن ذلك يبقى محل جدل واختلاف، فهناك من يرى أن النقد الجديد كان العامل الرئيسي في ظهور المدارس النقدية الحديثة، وعلى رأسها المدرسة البنيوية، كما أنه كان ممهدا لظهور ما يسمى بنظريات التقويض في الولايات المتحدة الأمريكية.

6_مراجع خاصة بالمحاضرة:

-معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس، 391

- ميجان الرويلي سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص206

- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ص 573.

- ميجان الرولي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص206.

- محمد عزام: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، 1999ص16.

-عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، دراسة مقارنة للنقد الجديد في فرنسا، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص 7

- نبيل راغب: رشاد رشدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1993، ص 5